الوجود- والوجودية في الإسلام

الباحث/ خالد جمال عبد البصير

المطلب الأول :الوجود في العربية:

أولًا الوجود لغة: إن لفظ الوجود في العربيةيأتي من وَجَدَ: وجد مطلوبه والشيء يَجِدُه وجودًا ويُجده أيضا، بالضم، لغة عامرية لا نظير لها في باب المثال؛ قال لبيد وهو عامري:

"**لو شئت قد نقع الفؤاد بشربة، ... تدع الصوادي لا يجدن غليلا بالعذب في رضف القلات مقيله ... قض [قض] الأباطح، لا يزال ظليلا**"(١).

وقال سيبويه:"**وقد قال ناس من العرب: وجد يجد كأنهم حذفوها من يوجد؛ قال: وهذا لا يكاد يوجد في الكلام، والمصدر وجدا وجدة ووجدا ووجودا ووجدانا واجدانا**"(٢) .(وجد) مطلوبه يجده بالكسر(وجودا) ويجد بالضم لغة عامرية لا نظير لها في باب المثال. و (وجد) ضالته (وجدانا) و (وجد) عليه في الغضب (موجدة) بكسر الجيم و(وجدانا) أيضا بكسر الواو. و(وجد) في الحزن (وجدا) بالفتح. و(وجد) في المال (وجدا) بضم الواو وفتحها وكسرها،(وجدة) أيضا بالكسر أي استغنى. و(أوجده) الله مطلوبه أظفره به. "وأوجده أغناه"(٣)؛فلفظ "الوجود " يعني الحضور، "فيقال أن فلانًا موجودًا أي حاضرًا، ويقابله في اللغة لفظ الغياب والعدم، وهو معنى مضاد له تمامًا مثلما يتعارض الإيجاب والنفي"(٤).

---

(١) – قال ابن بري: الشعر لجرير وليس للبيد كما زعم. وقوله: نقع الفؤاد أي روي. يقال نقع الماء العطش أذهبه نقعا ونقوعا فيهما، والماء الناقع العذب المروي. والصادي: العطشان. والغليل: حر العطش. والرضف: الحجارة المرضوفة. والقلات: جمع قلت، وهو نقرة في الجبل يستنقع فيها ماء السماء. وقوله: قض [قض] الأباطح، يريد أنها أرض حصبة وذلك أعذب للماء وأصفى.

(٢) – لسان العرب ،ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)،ج٣،ص٤٤٥.

(٣) – الكتاب: مختار الصحاح المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م][٣٣٣ ص].

(٤) – – موسوعة لالاند الفلسفية ، ج١، (A:G)ص٣٨٦.

والوجود هو فقدان العبد بمحاق أوصاف البشرية، ووجود الحق؛ لأنه لا بقاء للبشرية عند ظهور سلطان الحقيقة،وهذا معنى قول أبي الحسين النوري: " **أنا منذ عشرين سنة بينالوجد والفقد، إذا وجدت ربي فقدت قلبي، وكذلك معنى قول الجنيد: علم التوحيد مباين لوجوده، ووجود التوحيد مباين لعلمه، فالتوحيد بداية، والوجود نهاية، والوجد واسطة بينهما**" (١).

خلاصة: إن الوجود في اللغة خلاف العدم ، والوجودي خلاف العدمي، وليس هو المراد عند الوجوديين المعاصرين، وأيضًا ليس مرادهم بالوجود وجود هذا الجسم كما نراه وكفى .

الوجود(٢) اصطلاحًا:

والوجود في الاصطلاح"مقابل للعدم، وهو بديهي"(٣)، فلا يحتاج إلى تعريف إلا من حيث أنه مدلول للفظ دون الآخر؛ لأن ليس له حد وليس له رسم، "وهو أبسط المعاني وأعمها فلا جنس فوقه يُعرف به ، ولافصل نوع يميز به"(٤)، فيعرف تعريفًا لفظيًا يفيد فهمه من ذلك اللفظ، لا تصوره في نفسه ومثال على ذلك : تعريف الوجود بالكون أو الثبوت أو التحقق والشيئية .

فيكون بمعنى الكون أو العالم،فيصبح اللفظ رمزًا اجتماعيًا للكون بكل ما فيه، والكون معناه الحضور، أي المثول وعدم الغياب عن البصر أو البصيرة.

ويأتي الوجود بمعنى الفرد أو الثبوت ، ومرد ذلك إلى أن الإنسان كان دائمًا في الفكر البشري رمزًا للكون ودليلًا على قيامه ، فيراد إثبات حضوره ومن ثم يُقال انه موجود .ومن ثم يمكننا توضيح معنى الوجود بأن نميزه عن غيره بما يلي :

---

(١) – كتاب التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق :إبراهيم الأبياري: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ -١٩٨٣م، صـــــــــــــــــ٣٢٤.

(٢) – والوجود هو أيضًا (الأنطولوجي) ontology ، أي علم المعرفة وهو قسم من أقسام الفلسفة يبحث في الموجود لذاته مستقلًا عن أحواله وظواهره ، وهو يبحث عن الأشياء في ذاتها من جهة ما هي جواهر . أي بحقيقة الوجود لا بظواهر الوجود أي عكس phenomenology، ، والأنطولوجيا هي علم المبادئ الأساسية، أ, نظرية المقولات، وهي الفلسفة النهائية المطلقة، وعلم الكون العقلي وترادف الميتافيزيقا، ينظر قراءة في المصطلح الفلسفي، مرجع سابق ص١١.

(٣) – المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج٢، ص٥٥٨.

(٤) – المعجم الفلسفي، مراد وهبه، ص٤١٧، ٤١٨.

- إن الوجود هو كون الشيء حاصلًا في نفسه مع أنه لا يكون معلومًا لأحد ، فوجوده يكون إذن يكون بذاته مستقل عن كونه معلومًا .
- إن الوجود هو كون الشيء حاصلًا في التجربة إما حصولًا فعليًا فيكون إدراك حسي أو وجداني وإما حصولًا تصوريًا فيكون استدلال عقلي .
- إن الوجود هو الحقيقة الواقعية الدائمة، أوالحقيقة التي نعيش فيها، وبهذا المعنى مقابل للحقيقة المجردة، أو الحقيقة النظرية.
- **وينقسم الوجود أيضًا إلى وجود خارجي ووجود ذهني:**

الوجود الخارجي:- هو عبارة عن كون الشيء في الأعيان وهو الوجود المادي أو في التجربة.

الوجود الذهني:-"وهو عبارة عن كون الشيء في الأذهان وهو الوجود العقلي أو المنطقي"[(١)]، فيقابل(الماهية) باعتبار أن الماهية تطلق غالبا على الأمر المتعقل مثل المتعقل من الإنسان وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجي والأمر المتعقل من حيث إنه مقول في جواب ما هو يسمى ماهية ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة ومن حيث امتيازه عن الأغيار هوية ومن حيث حمل اللوازم له ذاتا ومن حيث يستنبط من اللفظ مدلولا ومن حيث إنه محل الحوادث جوهرا."وعلىهذاالطبيعة المعقولة للشيء والوجود هو التحقق الفعلي لهذا الشيء"[(٢)]..

وجاء لفظ الوجود عند ابن سينا(٣٧٠هـ)[(٣)]:" إن كل وجود؛ إما واجب الوجود بذاته، أو ممكن الوجود بذاته[(٤)]"، والوجود هو عرض لا حق بالماهية. "وعلل الماهية غير علل الوجود"[(٥)]وتعتمد دراسة ابن سينا للوجود بمعنى مشترك بين كل الأشياء دون أن يكون

---

(١) – الإشارات والتنبيهات، لابن سينا، تحقيق سليمان دنيا،ط٣، دار المعارف، القاهرة، لعام١٩٨٣م ص١٥٤. ،والمجم الفلسفي ، جميل صليبا ، ص٥٥٩.

(٢)– التعريفات، الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري ،ص٢٥٠ /المعجم الفلسفي ،مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ص٢١١.

(٣)– ابن سينا: هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن على بن سينا ، ولد في مدينة بخاري عام ٣٧٠هـ ؛ الفيلسوف الطبيب تعلم القرآن ودرس الفقه والأدب ، ودرس علوم الطبيعة وما بعدها أيضًا ، والمنطق والرياضيات ، نرك لنا العديد من المؤلفات بقي منها مئتان وخمسون مؤلفًا تقريبًا . كما أنه نظم عدة قصائد بالعربية والفارسية ، وكان أشهرها القصيدة العينية ، أحتلت فلسفة الوجود عند ابن سينا مكانة ، فدراسة الوجود وكل المتميزات التي تخصه تحتل المركز الرئيسي في تفكيره الميتافيزيقي .سير أعلام النبلاء، ج١٧،ص٥٣١.

(٤)– الإشارات والتنبيهات، ص٢٣٥.

(٥)– نفس المصدر، ص١٥٢.

جنسًا عامًا لها- على تمييز بين أساسيين يبرزان في كل دراسته للوجود، هذان التمييزان يتعلقان بماهية الشيء ووجوده من ناحية ،ووجوبه أو إمكانه أو امتناعه من ناحية أخرى"[١] فالوجود هو الذي يعطي كل ذات أماهية حقيقتها الواقعة.

والوجود عند الإمام الغزالي(٥٠٥هـ)[٢]:"لا يدخل قط في ماهية الأشياء ، بل هو مضاف إلى الماهية"[٣].

ويرى الإمام "الجويني(٤٧٨ه)[٤]":"أن الباري تعالى يوصف بالوجود؛ وعلل ذلك بأن الاشتراك في صفة لا يوجب الاجتماع في سائرها، لأن الرب تعالى يتصف بصفات الألوهية، ونعوت الربوبية، والاشتراك في الوجود ليس مما يدل على الاشتراك في الحدث"[٥].

هذه نتيجة الوجود عند الفلاسفة المدرسيين مقابل الماهية .وذلك لأن الماهية هي الطبيعة المعقولة للشيء ، والوجود هو التحقق الفعلي له ، وكون الشيء حاصلًا في التجربة غير كونه ذا طبيعة معقولة ، ومن الفلاسفة من يقول أن وجود الشيء زائد على ماهيته ، كابن سيناالذي يرى أن الوجود عرض الأشياء ذوات الماهيات المختلفة محمول عليها.

- **الفرق بين الوجود والكينونة:**

والفارق بين الوجود والكينونة وهو؛ "أن الوجود يفيد معنى الخروج إلى الكون عند الولادة في ذات حية لديها قابلية للتفاعل مع هذا الكون وقدراته ، فإذا التفاعل بصورة

(١) – ثلاثة حكماء مسلمين (ابن سينا – السهر وردي – ابن عربي) ، سيد حسين نصر ، ط٢، دار النهار للنشر ، بيروت ، لعام ١٩٨٦م ، ص٣٩.

(٢) – – هو محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، أبو حامد الغزالي الملقب بحجة الإسلام الفقيه الشافعي ، ولد عام ٤٥٠هـ ، ب(طوس) التي تقع شمالي شرق إيران والتي تسمى الآن بشهر ، كان من شيوخه الإمام الرازكاني ، والإمام الجويني ــ كما ترك لنا العديد منم المؤلفات أهمها إحياء علوم الدين./ يُنظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد ،تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، الناشر دار بن كثير، سنة النشر ١٤٠٦هـ ، دمشق، عدد الأجزاء ١٠ ج١٠/٤، دائرة معارف القرن العشرين ، لفريد وجدي ، ، دار الفكر للنشر، ج٧، ص٦٥.

(٣) -تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي، تحقيق سليمان دنيا، ط٦،دار المعارف، القاهرة ص١٩٠، ١٩١.

(٤) – الجويني ت(٤٧٨) هـ: هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني، وكان فقيهًا، وله تصانيف في علم الكلام، ثم رجع عنها آخر زمانه ولد في عام ٤١٩هـ ، سير أعلام النبلاء ،الذهبي، ج١٨/ص٤٦٨.

(٥) – الشامل للجويني، ص٣١٩، ٣٢١.

أو بأخرى بدأ الوجود أما الكينونة"[١]، "وهي أكثر واقعية من كلمة وجود"[٢]، فتتصرف إلى القوة الذاتية الكاملة التي فاض عنها الوجود أي الوجود المطلق ؛ الذي لا يتفاعل مع غيره ولا تسرى عليه أوضاع الإحالة المتبادلة بينه وبين الغير ، ويشمل وجود الصورة أو الماهية .

- الفرق الوجود والآنية:

أما الفارق بين الوجود والآنية فهو فارق ما بين المبدأ وتطبيقه، "والآنية في الاصطلاح العربي تعني الذات أو المبدأ الفردي ، الذي تتميز به ذات معينة عن غيرها من الذوات ، فتعني شخصية الفرد بعد ما تفاعل مع الوجود محققاً ذاته على نمط آخر"[٣].

إذن الوجود في العربية لا اختلاطولاشبه إذ ينصرف اللفظ مباشرة إلى العالم كله أو إلى عالم الفرد، وكلاهما من طبيعة واحدة"[٤].وحيث في اللغة العربية يختلف الوجود عن الكينونة وعن الآنية.

(١) - المعجم الفلسفي / مجمع اللغة العربية ، صـــــــــــــــــــــــ١٥٢ ، ٢١١.

(٢) – موسوعة لا لاند الفلسفية ، ج١،ص٣٨٦.

(٣) – تاريخ الوجودية في الفكر البشري ، محمد سعيد العشماوي، بدون تاريخ،ص١٣.

(٤)–نفس المرجع، ص١٣.

المطلب الثاني الفكر العربي نموذجًا للوجودية في الإسلام

وفيه مسألتان

م١: مصادر الوجودية العربية المعاصرة.

م٢: نماذج من الفكر الوجودي العربي:(عبدالرحمن بدوي: زكريا إبراهيم).

المسألة الأول :مصادر الوجودية العربية المعاصرة .

من المعروف أن الأفكار والفلسفات الغربية، عندما تنتقل إلى بلادنا لن يكتب لها النجاح الكامل ؛ فهي تعكس في الأصل سمات لحياة أمة أخرى تكون مرت فيها بمشكلات وظروف حياتية، فهي لا تناسب ما تعانيه أمتنا من مشكلات سياسية واجتماعية ودينية، وغالبًا ما تنبثق هذه الفلسفات من مصادر مختلفة منها:

الغزو الفكري[(١)].

كان للغزو الفكري الدور الكبير في نقل الفلسفات الغربية مجموعة ومنها الوجودية، بحجة تنقية التراث، والتجديد الفكري وتصحيح المسار الاجتماعي والثقافي.وقد نتج عن نقل الفكر الغربي ودراسته، محاولة لتغريب للعرب والمسلمين كسلاح قوي لتغيير الشخصية المسلمة، وصياغة العقلية العربية بما يتلاءم والثقافة الغربية، فيكون من السهل استعباد تلك المجتمعات، وجعلها تابعة للغرب وأروبا.

(١) – الغزو الفكري: ظهر أبان الحملات الغربية على الشرق، وظهور المستشرقين، وقد أطلق على المخططات الفكرية والتدريبية التي تقوم بها منظمات ومؤسسات دولية، بغية تحويل بلاد الإسلام عن دينهم، وضعف شوكتهم، ووحدتهم، لما ثبت نجاحه أكثر من الغزو الاستعماري، أو أن يكون مقدمة له،

وإن الغزاة يضعون هدفهم غزو أمرين رئيسيين لدى أعدائهم وهما:

الفكر الذي يمثل عقائد الأمة المغزوة ومفاهيمها ومبادئها.

السلوك النفسي والظاهر، الذي هو تعبير حركي عن عقيدة الإنسان ومفاهيمه ومبادئه.

وهذا الغزو المنظم المدروس، يستخدم القصة، والتمثيلية، والمسرح، والإذاعات بأنواعها، والكتب والمجلات، والمقالات، حتى الطرائف والملح الشائعة لا يتأخر في استعمالها كسب قضاياه، وتحقيق أهدافه، والوصول إلى ما يسمونه أنفسهم(غسيل المخ)(زرع ذاكرة) جديدة في رؤوس الأجيال، لتنشأ على ولاء فكري ونفسي للغرب ومثله حضارته، يُنظر أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها(التبشير–الاستشراق– الاستعمار) دراسة وتحليل وتوجيه، ط٨، دار القلم دمشق– عبدالرحمن الميداني، ص٤٣,٢٥. والغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، د. عبد الستار فتح الله سعيد، ط٤، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، لعام ١٤٠٨ه– ١٩٨٨م، ص٢١، ص٤٠.

وقد كشف لنا هذا الغزو عن الكثير من الشبهات والعلاقة بين قوى العداء الثلاثة للمسلمين ؛ التبشير[١]، والاستشراق[٢]، والتغريب[٣٣] في مجالات الفكر والثقافة لتقويض الإسلام واللغة العربية والحضارة والتاريخ.

(١) – التبشير: يُطلق لفظ "التبشير" على الحملة التي تولتها الصليبية فيما أُسمي "بتعليم الدين المسيحي ونشره، وقد بدأت كحركة دينية وسياسية استعمارية، إثر فشل الحروب الصليبية، بغية نشر النصرانية في الأمم المختلفة، في دول العالم الثالث، بعامة وبين المسلمين خاصة، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب ويساعدهم في ذلك ثلاثة عوامل:
انتشار الفقر والجهل والمرض في بلاد المسلمين.٢- النفوذ الغربي في بلاد المسلمين.٣- ضعف بعض حكام المسلمين.، ولهم أفكارًا، ومؤتمرات، ومراكز ومعاهد تنصيرية، ولهم كتب ووسائل دعاية مختلفة، منها الخدمات الطبية، والتعليم، والأعمال الاجتماعية المختلفة، والتدخل في حالة الحروب(الصليب الأحمر)، يُنظر الاتجاهات الفكرية المعاصرة، الدكتور علي جريشه، ط٣،دار الوفاء للنشر، القاهرة- المنصورة، لعام ١٤١١هـ- ١٩٩٠م،ص٢٣"،الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، لمانع بن حماد الجهني ،ج٢،ص٦٦٥- ٦٧٧.

(٢) – الاستشراق: الاستشراق تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق ، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم . ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي ، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته . ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة ، معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما .
من الصعب تحديد بداية للاستشراق ، إذ أن بعض المؤرخين يعودون به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس ، في حين يعود به آخرون إلى أيام الصليبيين ، بينما يرجعه كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري . وأنه نشط في الشام بواسطة الراهب يوحنا الدمشقي في كتابين الأول : حياة محمد . والثاني : حوار بين مسيحي ومسلم . وكان هدفه إرشاد النصارى في جدل المسلمين . وأيا كان الأمر فإن حركة الاستشراق قد انطلقت بباعث ديني يستهدف خدمة الاستعمار وتسهيل عمله ونشر المسيحية . وقد بدأ الاستشراق اللاهوتي بشكل رسمي حين صدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام ١٣١٢م وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية .

ولم يظهر مفهوم الاستشراق في أوروبا إلا مع نهاية القرن الثامن عشر ، فقد ظهر أولا في إنجلترا عام ١٧٧٩م ، وفي فرنسا عام ١٧٩٩م كما ادرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م / يُنظر الاستشراق والمستشرقين، دكتور مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر، بدون تاريخ،ص١٧، ٢٠، ٣٠، ٣٣. الاستشراق المعاصر وأثره في التطاول على الإسلام والمسلمين، د. مازن المطبقاني، طبعة دار الأعمال الخيرية، الرياض- المملكة السعودية،١٩، ٢٠،٢١.الموسوعة الميسرة، ص٦٨٧.

(٣)- التغريب: هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة ، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصياتهم المستقلة ، وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية.=

= و بدأ حينما قام المشرقيون في العالم الإسلامي مع نهاية القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر بتحديث جيوشهم وتعزيزها عن طريق إرسال بعثات إلى البلاد الأوربية أو باستقدام الخبراء الغربيين للتدريس والتخطيط للنهضة الحديثة ، وذلك لمواجهة تطلع الغربيين إلى بسط نفوذهم الاستعماري إثر بدء عهد النهضة الأوربية . الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب المعاصرة،ص٦٩٨.

فقد عبرت وسائلهم عن هذا الهدف، الذي يلتقي في كل منطلقاته مع النظريات التي وضع بذرتها عمالقة الاستعمار من أمثال كرومروليوتي وعمداء التبشير من بعدهم مثل (زويمر)، وراجع المفكر أنور الجندي[١] التقارير السنوية التي سجلها(كرومر) "والتي تُعَد كرسالة إلى الطليعة الجديدة من الشباب الذين اتجهوا إلى ميادين الثقافة، ليعدهم خلفاء الاحتلال البريطاني، أو بعبارة أخرى استعمار آخر، يكون يدًا للنفوذ الأجنبي في بلاد المسلمين، بعد إجلاء التواجد المسلح"[٢] .

كذلك كانت حركة الاستشراق مُسَخَرةٌ في خدمة الاستعمار(الاستخراب) فلم تبخل الحكومات ، ولا الهيئات ولا الشركات ولا المؤسسات ولا الكنائس في يوم من الأيام في دعم حركة الاستشراق ومدها بما تحتاجه من مال ، وتأييد وإفساح الطريق أمامها في الجامعات حتى بلغ عدد هؤلاء المستشرقين آلافا كثيرة.

وهكذا نرى أن مثل هؤلاء المستشرقين جزء من مخطط كبير هو المخطط الصهيوني الصليبي لمحاربة الإسلام ، ولا نستطيع أن نفهمهم على حقيقتهم إلا عندما نراهم في إطار ذلك المخطط الذي يهدف إلى تخريج أجيال لا تعرف الإسلام أو لا تعرف من الإسلام إلا الشبهات ، وقد تم انتقاء أفراد من هذه الأجيال لتتبوأ أعلى المناصب ومراكز القيادة والتوجيه لتستمر في خدمة الاستعمار.

واشتدت حركة التغريب منذ ١٨٣٠م حيث بدأ المبتعثون العائدون من أوروبا بترجمة كتب فولتير وروسو ومونتسكيو في محاولة منهم لنشر الفكر الأوروبي الذي ثار ضد الدين الذي ظهر في القرن الثامن[٣].

ويؤكد الدكتور أنو الجندي على هذه الشبهات المتعلقة بالغزو الفكري "بما يردده حملة هذا الفكر الدخيل مثل طه حسين، وعلى عبد الرازق، ولطفي السيد، وسلامة

(١) – أنور الجندي : هو أحمد أنور الجندي، له أعمال كثيرة حول القضايا الإسلامية المعاصرة، وقدم للمكتبة الإسلامية العديد من المؤلفات التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وكانت ترتكز على قضية تصحيح المفاهيم، وأسلمة المناهج، ووضع مشروع لتشيد الصحوة الإسلامية، وحمايتها من الاحتواء، وكان من المهاجمين للديمقراطية الغربية، وفرق بينها وبين الشورى الإسلامية، كما أسقط نظرية التعميم عند ماركس، يُنظر أنور الجندي وموقفه من الفكر الغربي الوافد، رسالة ماجستير للطالب يونس خليل سعيفان، إشراف د. محمد حسن بخيت، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، بغزة، لعام ١٤٢٧هـ، ٢٠٠١م،ص٢٧٦، ٢٧٧.

(٢) – أنور الجندي وموقفه من الفكر الغربي الوافد ، ص١٢١، ١٢٢.

(٣) – الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب المعاصرة،ص٦٩٩.

موسى، حول حقائق الإسلام والشبهات التي تُردد على ألسنتهم، والتي نُقلت حرفيًا من رسائل كر ومر، مما لا يدع مجالًا للشك في مصدر هذه العلاقة، وهو العداء للإسلام والمسلمين، المنطلق من دائرة الاستعمار الغربي"(١).

ومن هذا يظهر لنا "أن الفكرة من وراء القوى الإنسانية أخطر قوة تتحكم بهذه القوى، وأقدر الناس على التحكم بالقوى المادية، هم أقدرهم على تزويد العقول بالأفكار التي يريدون إقناع العقول بها، وأعجز الناس في ذلك هم أكثرهم تهاونًا ببث الأفكار التي يمكن أن تخدم غاياتهم. ومهما بلغت أمة من الضعف في القوى المادية أمام أمم أخرى، فإنها تسطيع أن تستخدم لغايتها قوى الأمم الأخرى، متى استطاعت أن تغذي عقولهم بما تشاء من أفكار، وتملأ قلوبهم بما تشاء من قناعات ومعتقدات"(٢).

لذلك أنتبه أعداء الإسلام لتلك الحقيقة، التي أدركوا بها قوة المسلمين الضاربة، فأخذوا يجهزوا جيوش الغزو الفكري، التي تتربص بالأمة من كل مكان، فيهدموا وحدتهم الفكرية الأصيلة، ويسحرونهم بالأفكار الدخيلة، ويسير كل ذلك في خفاء وسرية، والتي يغفل عنها السواد الأعظم من الذين توجه ضدهم هذه الحرب، دون خسارة في الأرواح، أو السلاح، فامتد هذا الغزو في كل اتجاه، ودخل على المسلمين في أزياء خادعة، تحت دعاوي المدنية والتقدمية والتجديد.

١- البعثات التعلمية للغرب.

يُرسل الطلاب المسلمون إلى جامعات الغرب للحصول على رسائل الماجستير أو الدكتوراه، وهذه الجامعات يتواجد فيها أقطاب الفلسفات الوجودية والمادية والعلمانية، ثم يعودون بحمل بعير بالأفكار المستغربة، ومن قبلها بالشهادات العلمية، وللدهشة الشديدة أنهم يحصلون على هذه الشهادات في تخصصات موجودة بالأصل في بلادنا كالدراسات الإسلامية، والعربية.

فقد أنشئ على سبيل المثال في جامعة "كمبردج"، كرسي اللغة العربية حيث يقول مؤسسه في حفل الافتتاح، إننا نهدف إلى تقديم خدمة نافعة للدولة عن طريق تجارتنا

(١) – موسوعة مقدمات العلوم والمناهج،ط١، دار الأنصار، لعام ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م،عدد الأجزاء خمسة: ج٥/ص٩٦.
(٢) – أجنحة المكر الثلاثة، ص٢٦.

مع الأقطار الشرقية، وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون في الظلمات "المسلمين طبعًا"(١).

فلم تكن هذه البعثات سوى الوجه الثاني للغرب، الذين ينقلون الثقافة والفلسفة الوجودية، بعد أن تعودوا على طريقة العيش الأوربية.

وعلى حد تعبير المؤرخ "توينبي" أنهم يصبحون رصيدًا في حساب أعداء الإسلام بالسلوك والتربية والعادات الجديدة، وهؤلاء وأمثالهم هم الذين كُتبَ على أمتنا أن يقودوا حركتها في شتى مجالات الحياة، حتى أحلوها دار البوار، وبدلوا وجهتها في الحياة، وكانوا هم الجنود المجندة في يد أعداء الإسلام لإحداث هذا الانقلاب الجذري في حياة المسلمين من حيث علموا، ومن حيث أرادوا أو انساقوا مع التيار بلا فهم ولا وعي"(٢).

ومن ثم لم يستطع هؤلاء أن يستثيروا عزائم أممهم، وأن يستنهضوها لعمل حاسم، إنما راحوا يدافعون عن ثقافة وتاريخ بلاد غيرهم، البلاد التي منحتهم الشهادات، ولتذهب بلادهم إلى الجحيم، وليس ذلك فقط لكنهم يحضرون معهم من تلك البلاد إلحاد الوجودية، وكل ما يدعوا للإسعاف والإحباط.

- **المسألة الثانية: نماذج من الفكر العربي الإسلامي**

١- (عبدالرحمن بدوي).

- **أولًا ترجمته:-**

ولد عبدالرحمن بدوي في شهر فبراير سنة١٩١٧م، في قرية" شرباص"، إحدى قرى محافظة دمياط، تعلم القراءة والكتابة، وحفظ شيئًا من القرآن الكريم، وكان والده عمدة لقريته، مما جعل له مكانة عند الناس، فيقدمون له الولاء والطاعة(٣).

استطاع أن يتجاوز المراحل التعليمية الأولى، إلا أن انتقل جنوب القاهرة، بمحافظة الجيزة والتحق، بكلية الآداب – جامعة القاهرة، فاختار قسم الفلسفة، الذي تخرج منه سنة ١٩٣٨م، بتقدير ممتاز، إلا أن التحق بالدراسات العليا على أيدي الأساتذة الكبار، أمثال الشيخ مصطفى عبد الرازق.

(١) – التفكير الإسلامي وعلاقته بالاستعمار الغربي، الدكتور محمد البهي، ص٢١٤.

(٢) – يضرب المؤلف نموذجًا بقاسم أمين، يُنظر الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام،ص٨٢.

(٣) – أعلام الفكر العربي، السيد ولد أباه،ط١، ببيروت، طبعة عام ٢٠٠م، ص١٠٠.

ثانيًا: موقف عبد الرحمن بدوي من الفلسفة الوجودية.

تأثر عبدالرحمن بدوي بالفكر الغربي الوجودي؛ حيث سافر إلى فرنسا ودرس على يد بعض المستشرقين أمثال لا لاند وكواريه، وحصل على درجة الماجستير" مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية"، ثم رسالة الدكتوراه التي هي بعنوان:" الزمان الوجودي" ، ساعده على ذلك بلورة العديد من آراءه وأفكاره الفلسفية وعلى رأسها الوجودية"(١).

ومن هذا التاريخ تحول عبدالرحمن بدوي إلى باحث وكاتب وجودي؛ وكان مشروعه الوجودي يقوم على معالجة مسائل وجودية كبرى عالجها من قبله كبار الوجوديين أمثال " هيدجر" وخاصة رسالته العلمية" في الزمان الوجودي،" وبذلك د. بدوي أدخل المذهب الوجودي إلى اللغة العربية في وقت كان "سارتر"، يدخل هذا المذهب إلى اللغة الفرنسية(٢)".

فيقول بدوي عن الوجودية: " **هي الفلسفة الجديدة والوحيدة التي أبدعها القرن العشرون، والتي تحتل اليوم مركز السيادة المطلقة في الفكر الفلسفي العتيد**(٣)".

أ- العلاقة بين التصوف والوجودية عند عبدالرحمن بدوي.

وقد تبدت محاولات أخرى لعبدالرحمن بدوي لترويج الوجودية خاصة عندما عقد للصلة بين الوجودية والتصوف في كتابه الإنسانية والوجودية في الفكر العربي.

---

(١) - في الحقيقة كان إنتاج عبدالرحمن بدوي من الفكر الفلسفي إنتاجًا خصبًا، وخاصة في فترة الستينات من عمره، في التأليف والترجمة والتحقيق، فعلى سبيل المثال في التأليف:" دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، مناهج البحث العلمي، الفلاسفة والسلام، في الشعر الأوربي المعاصر، دراسات في الفلسفة الوجودية، مؤلفات الإمام الغزالي، وابن خلدون "، وفي الترجمة: "الوجود والعدم- لدون كيخوته، مسرحية علماء الطبيعة- لدروغات، ابن عربي تأليف- بلاثيوس "، وفي التحقيق "فضائح الباطنية، لأبي حامد الغزالي، رسائل ابن سبعين الطبيعية لأرسطو، في السماء والآثار العلوية، لأرسطو، تلخيص الخطابة لابن رشد، فن الشعر من الشفاء لابن سينا"، وللمزيد حول كتابات بدوي، يُنظر كتاب سيرة حياتي، لعبدالرحمن بدوي،ط١، دار الدراسات العربية، لبنان ، لعام ٢٠٠م، عدد الأجزاء٢، ج١،ص٣٥١: ٣٥٥.

(٢) – عبدالرحمن بدوي، حياته الفكرية ورؤيته الفلسفية من منظور نقدي، د. عاطف العراقي،ص١١.

(٣) – دراسات في الفلسفة الوجودية، د. بدوي، ط١، دار الدراسات العربية، لبنان ، لعام١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، ص١٦.

وأخرى "في كتابه (شخصيات قلقلة في الإسلام) حاول أن يربط بين مناهج بعض الصوفية الحلولية الذين لهم انحراف فكري، مثلما لوحظ هذا الانحراف عند الوجوديين"(١).

يقول عبدالرحمن بدوي: "**بين كلتا النزعتين الصوفية والوجودية، صلات عميقة: في المبدأ والمنهج والغاية**"(٢).

ويحاول الباحث أن يلقي الضوء على إحدى مشاريع بدوي الوجودية، والتي تبين موقف الفكر العربي من الوجودية. فأراد(بدوي) أن ينصب ذاته داعيًا لها فيبرر دعوته تلك ونجاحها بفائدتين على حد تعبيره وهما:-

١- "الأولى أن نقدر هذه المذاهب الصوفية حق قدرها ونضفي عليها نورًا وهاجًا من التفسير الوجودي الحديث..

٢- أن يكون في هذه الدراسة من جانبنا نوع من الاستفادة والاستلهام. واتخاذ نقطة البدء في مذهبنا الوجودي العربي الذي نود أن نجعل منه فلسفتنا الجديدة في الحياة والوجود. ونحن إنما نريد بهذا أن نتخذ من هؤلاء الصوفية العرب ما اتخذه الوجوديون الأوربيون من كيركجور ومن إليه ممن يعدون آباء الوجودية الأوربية"(٣).

ولأهمية هذا الموضوع نحاول التعرض لبعض هذه الصلات بإيجاز ومنها:-

١- " **الوجود الذاتي**": فكلتا التصوف الوجودية تبدأ من الوجود الذاتي، وتقيم من أحواله مقولات عامة للوجود، وهي بالتالي تجعل الوجود سابقًا على الماهية ضد كل فلسفة تصورية. فالأحوال عند الصوفي هي بمثابة الصفات والكيفيات عند الفيلسوف الطبيعي، لأنه لا يعترف بوجود حقيقي غير الوجود الذاتي. أو على الأقل يضع ترتيبًا تصاعديًا فيجعل الوجود الذاتي فوق الوجود الفيزيائي.

" وتظهر أهمية هذا الترتيب التصاعدي لمستويات المعرفة وبالتالي لمستويات الوجود عند السهروردي"(٤).

---

(١) – الوجودية في الميزان، رسالة الإمام، العدد الرابع، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، تأليف مصطفى غلوش، ذو الحجة لعام١٤٠٥هـ، القاهرة،ص٦٤.

(٢) – الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت– دار القلم بيروت،ص٧٣.

(٣) – الإنسانية والوجودية في الفكر العربي،ص٩٩.

(٤) – الإنسانية والوجودية في الفكر العربي،ص٧٣. وينظر حكمة الاشراق،ص٥٧-٥٨.

٢- " **التجربة الذوقية**": فكما أن للوجودي تجربة وجودية تتضمن تحليلات نفسية شخصية لأحوال فردية تؤخذ على هذا الأساسي النفسي الفردي." بل هي في جوهرها تحليل للوجود، الذاتي بوصفه الوجود الحقيقي، كما تقول النزعة الوجودية تمامًا.. فالنزعة الصوفية نزعة تقوم على مذهب الذاتية، بمعنى أنها لا تعترف بوجود حقيقي إلا للذات، الذات المفردة"" ولهذا كانت مراتب الوجود، وسيرها هذا إنما يقصد به إحلال الوجود الذاتي شيئًا فشيئًا مكان الوجود الفزيائي أو الخارجي"(١).

٣- " **الإنسان الكامل**": وهي الإنسان الكامل هذه تناظر في الوجودية الأوحد، خصوصًا عند كيركجورد.

"وهذه الفكرة تجمع بين الصوفية والوجودية من حيث النزعة الإنسانية. فقد رأينا فيها أكبر توكيد للنزعة الإنسانية. لأن فيها تأليه الإنسان. والوجودية تضع الوجود الإنساني مكان الوجود المطلق"(٢).

٤-" **القلق**": يقول عبدالرحمن بدوي:" لقد وجدت تعريفا للقلق عند الصوفية المسلمين يشبه تعريف هيدجر هذا كل المشابه، حتى إنه استرعى نظري إلى أبعد حد، وكان نقطة البدء في تنبهني إلى إمكان وجود صلة أو أوجه تلاق بين الصوفية المذاهب الوجودي.. والتعريف الذي أشير إليه هو الوارد في كتاب" جامع الأصول في الأولياء" للشيخ أحمد ضياء الدين الكشمخانلي النقشبندي"(٣).

وهو يقول "القلق: وهو هاهنا تحريك الشوق صاحبة، بإسقاط صبره. وصورته في البدايات: تحريك النفس إلى طلب الموعود، والسآمة عما سواه في الوجود. وفي الأبواب: قلق يضيق الخلق فيبغض إلى صاحبه الحياة، ويحبب إليه الموت، وفي المعاملات توحش عما سوى الحق، وأنس بالوحدة والتخلي عن الخلق(٤). "**وهذا التعريف** يجمع بين الجانبين النفسي والوجودي، ويغلب عليه الجانب الوجودي.

---

(١) – الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، ص٧٤.

(٢) – الإنسانية والوجودية في الفكر العربي ، ص٧٧.

(٣) – نفس المرجع ص٨٩.

(٤)– نفس المرجع،ص٨٩.

وعبدالرحمن بدوي يقرر "بأن الصلة بين الوجودية المعاصرة وبين كيركجورد لا تزيد كثيرًا عن الصلة بين الصوفية الإسلامية وبين المذهب الوجودي"(١).

وفي نهاية عقد هذه الصلة التي حاول فيها عبدالرحمن بدوي أن يشبه التصوف وعلاقته بالوجودية، بكيركجورد وعلاقته بتحليلاته الوجودية حينما اتخذ القصص الدينية أساطير للتفسير الوجودي، وهو بعينه ما يفعله الصوفيون المسلمون، وبخاصة الحلاج والسهر وردي وابن عربي، "فالحلاج قد تمثل خصوصًا حياة المسيح، فراح يحيها وجوديًا ويعبر عنها في صورة إجمالية قد تصلح أساسًا لتحليلات وجودية"(٢). وفي هذا القياس للنموذج الكيركجوردي على التصوف التراثي، ترويج لأن تصبح الوجودية على أنه مذهب إسلامي يقبله المسلمون.

"ولا يجب أن ننسى هنا أن الصوفية الحقيقية تقوم على تناسي الذات في سبيل القرب إلى الله، على حين أن الوجودية تجر كل شيء نحو الذات ولا ترى شيئًا سوى الذات حتى ولا الله نفسه.."(٣).

ثالثًا: قضايا الفلسفة الوجودية عند عبدالرحمن بدوي.

إن مذهب الوجودية عند عبدالرحمن بدوي يقوم على أساس التبسيط والتوضيح، بهدف أن يتقبلها القارئ العربي، وأن يهضمها جيدًا، فغالبًا ما يتكلم عن الوجود بالفعل والكون، وذلك ضد مذهب الماهية القائل بأن ماهية الإنسان هت التي تنشأ عنها أفعاله، وقد اختار الباحث، مفهوم الزمان الوجودي من كتابات التي أهتم بها كثيرًا وظهرت فيها بنية أفكاره.

أ- الزمان الوجودي.

تتمحور الفلسفة الوجودية عند عبدالرحمن بدوي في العلاقة بين الوجود والزمان، انطلاقا من الرؤية الهيدجرية(٤). التي تبحث أساسا في علاقة الموجود بالوجود , من

(١) – نفس المرجع،ص١٠١.

(٢) – الإنسانية والوجودية في الفكر العربي،ص١٠٢.

(٣) – الوجودية في الميزان،ص٦٤.

(٤)–كون هيدجر منهجًا فلسفيًا مترابطًا للبحث في الوجود والحياة, على عكس الفلسفات الوضعية التي رفضت الفلسفة التأملية باعتبارها فارغة وغير عملية. صاغ هيدجر منهجا وجوديا شديد الصرامة في كتابه "الكينونة والزمان" (الكتاب الأهم في فلسفة هيدجر والذي صدر سنة ١٩٢٧) هدف هيدجر وضع أساسات لفلسفته. لتفرده في السعي للتخلص الميتافيزيقا التقليدية, لصالح اهتمامات الإنسان وهمومه، والقطع مع الفلسفة المتعالية، وإقامة نظرية متكاملة حول الوجود من خلال دراسة مادته

حيث علاقته الزمانية بذاته وبالموجودات الأخرى. كفلسفة تبحث في العلاقة بين الميتافيزيقا والأنطولوجيا، فالإنسان عند هيدجر هو الآنية (DASEIN)[1]- الموجود الزماني.

غير أن الإنسان هو الموجود الزماني أمر طبيعي لأن حياته تتعلق بماضيه وحاضره ومستقبله، وغالبًا ما ينتهي هذا الزمان بالموت الذي أرهق الوجوديين جميعًا، فهو العدو الأكبر لهم وللوجود بأكمله." وحين يقول بعض الفلاسفة إن الإنسان في جوهره مستقبل، فإنهم يعنون بذلك أنه يتحرك صوب الأمام، محققًا ما لديه من إمكانيات، آخذًا على عاتقه أن يوسع باستمرار دائرة وجوده في المستقبل"[2].

ومن هذ المقام فقد قسم بدوي في كتابه الزمان الوجودي(الوجود بالزمن- الوجود الناقص اللازماني)، وقدم في هذا الكتاب قراءة نقدية لمنطق هيجل وفلسفته التي تقوم على التأليف والتركيب بين المتناقضات.

الأولية, أي الموجود البشري. خلافا لمنهجية كيركجارد التي كان يغلب عليها الطابع الديني, بل ينطلق من تحليل آنية الوجود الإنساني كطريق أوحد للبحث في حقيقة الوجود الأصلي.

(١) - صفات الآنية في الإنسان عند هيدجر بما يلي:

١- إنه "موجود في العالم": أي انه موجود بين الموجودات الأخرى ويقيم معها علاقات ديناميكية، يتعامل بطريقة إيجابية وفعالة مع العالم الخارجي. فالوجود في العالم عند هيدجر هو وجود معاش ومرتبط مع الآخرين . فالوجود في العالم تحدد أنطولوجية الموجود البشري.

٢- إنه "موجود مع الآخرين"

حيث تشعر الذات بذاتها, وتتحمل مسئولية تحقيق وجودها. أما الوجود الزائف أو الغير أصلي , فهو يعني أن الذات لا تتحمل مسئولياتها, وبالتالي تسقط في أداتيه الحياة اليومية، وتصبح موضوعا كباقي الموضوعات المتداولة بين الناس، فتقلد أقوالهم وأفعالهم ولا تنصت لنداء آنيتها.

إنه "موجود قلق"

وهي من أهم الأحوال العاطفية التي تميز الآنية. عند هيدجر فالقلق له دلالة وجودية, للكشف عن الذات وانفتاحها على العالم، والشعور بالقلق يكشف للآنية حقيقة وجودها, أي أنها ملقاة في العالم دون أن يكون لها خيار في ذلك. ويفرق هيدجر بين القلق والخوف. الذي هو شعور بخطر شيء محدد يوجد بوجوده ويزول بزواله, أما القلق فهو الخشية من الوجود بحد ذاته وهو الشعور الذي يذكر الإنسان بإمكانيته النهائية , أي الوجود من اجل الموت.

٤- أنه "موجود من أجل الموت", أي وعي الإنسان الدائم بحقيقته النهائية, التي عادة ما يلجأ إلى إغفالها والتهرب من التفكير فيها. وهذا التجاهل يؤدي به إلى الضياع في الوجود الغير أصيل. ينظر الوجود الحقيقي عند مارتن هيدجر ، صفاء عبد السلام جعفر، ص١٠٦، ١٥٩، ص١٧٤.

(٢)-مشكلة الحياة، زكريا إبراهيم، ط١، مكتبة مصر، القاهرة، ص٢٥٤.

والتفسير الوجودي على أساس الزمان عند بدوي يبدأ من حيث انتهى إليه السالفون من الفلاسفة في الزمان، التي ترد إلى ثلاثة مذاهب رئيسية وهي: (المذهب الطبيعي)[١]ويمثله أرسطو الذي حلل الزمان تحليلًا أن يعد الصورة العليا لتفسير الزمان والوجود المرتبط به عند الأقدمين، (المذهب النقدي)[٢] أي المتصل بنظرية المعرفة، وهو الذي أقامه "كانط"، وسار عليه من تأثره حتى نهاية القرن الماضي، والثالث هو(المذهب الحيوي)[٣] الذي فصله"برجسون".هذا في ميدان الفلسفة، أما في ميدان الفيزياء فثمة مذهبان رئيسيان: (المذهب المطلق)[٤]، ويمثله نيوتن، و(المذهب النسبي) الذي وضعه أينشتين[٥].

---

(١) – المذهب الطبيعي (Naturalism): في الفلسفة العامة هو القول بأن الطبيعة هي الوجود كله، ، فهو يفسر جميع الظواهر بإرجاعها إلى الطبيعة، ويستخدم المنهج التجريبي في العلوم الإنسانية، والمذهب الطبيعي في الأخلاق؛ أسسه جان لوك(١٦٣٢– ١٧٠٤)، هو القول أن الحياة الأخلاقية هي امتداد للحياة البيولوجية، وخص لوك الدراسات الدينية بأهمية عظمى، وتمنى لو اختزلت القواعد الأخلاقية في مجموعة منسقة من المبادئ العامة واختصرت الطقوس الدينية في شعائر بسيطة تخلو من التعقيد والمبالغة، أما الزمان عند أرسطو: هو مقدار الحركة من جهة المتقدم والمتأخر، ومنها مبدأ المحرك الأول لكل الحركات في العالم،/ المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج٢، ص١٧. الإسلام في مواجهة المذاهب الغربية، ص٣٨٠. الزمان الوجودي، عبدالرحمن بدوي، ط٣، دار الثقافة، (بيروت– لبنان)، لعام ١٩٧٣م،ص٤٨، ٤٩.

(٢) – المذهب النقدي(Criticism) : مذهب يرى ضرورة مناقشة المعارف كلها، فليس كل معرفة مقبولة إلا بعد فحص وتمحيص، ومن أوضحها مذهب(كانط) وأساس النقد عنده هو الفحص والاختبار ونقد العقل الخالص امتحان قيمته من حيث أنه يتوخى الحقيقة، فالنقد لا يقتصر على المعرفة أو على الأخلاق إنما الحياة كلها بما فيها من معرفة وأخلاق وجمال وسياسة. وذلك من أجل سلامة التفكير والسلامة ووضوح الفهم، ويرى أن الزمان ليس تصورًا تجريبيًا، فالزمان لا يقوم على الظواهر، بل الظواهر هي التي تقوم على الزمان المعجم الفلسفي، مجمع اللغة، ص١٨٠. الإسلام في مواجهة المذاهب الغربية، ص٤١٨. الزمان الوجودي، ص١٠٣وما بعدها.

(٣) – المذهب الحيوي(Vitalize) : والحيوية مذهب يرى أن ظواهر الحياة تختص بمميزات معينة، وأن في كل موجود حي مبدئًا حيويًا، مباينًا للنفس المفكرة من جهة ولخواص الجسم الفيزيائية والكيميائية من جهة أخرى ، ويرجع هذا المذهب إلى أرسطو وأفلاطون الذين اعتبرا النفس مبدأ الحياة والحركة. كذلك ولا يمكن إرجاع تلك القوة إلى المادية الجامدة، ومنه مذهب حيوية المادة، بأنها تشارك النفس الكلية في أفعالها، وفيه التصوير المكان للزمان لبر جسون/ المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ص٥٠٨، الزمان الوجودي، ص١٤١ وما بعدها.

(٤) – المذهب المطلق(Unlimited) :عند نيوتن هو الزمان الحقيقي الرياضي، وهو قائم بذاته مستقل بطبيعته، ويسير باطراد، في غير نسبة إلى أي شيء خارجي. ويشبه الزمان القديم الذي قالت به الأفلاطونية المحدثة./ الزمان الوجودي، ص١٠١.

(٥) – المذهب النسبي(Relative) : وهو مقابل المطلق، ويتوقف وجوده على غيره، والتابع، ودل على المقيد والناقص، والنسبية مذهب يقرر أن كل معرفة نسبية. أما نسبية أينشتين التي تضع حقائق فيزيائية للقوانين منها على سبيل المثال في قانونه الأول: أن قوانين الكون واحدة لكل الأجسام التي تتحرك بحركة منتظمة أينشتين والنسبية، ومنها أنه يشبه عالم الذرو بعالم = [٥] =الأفلاك في الانسجام والوحدة ولكن هذه النظرية كانت عاجزة عن تفسير بداية ونهاية الكون لعجز العلم عن

ومن ثم انطلق بدوي من حيث تقسيم الزمان إلى فيزيائي وذاتي أي وجودي.

ب- وتقوم نظرية عبد الرحمن بدوي حول الوجود الزماني(DASEIN) [1] على الأفكار الأربع الأساسية وهم:

١- تفسير الوجود على أساس السمة الزمنية، فلا وجود إلا مع الزمان وبالزمان. **يقول بدوي:**" ولهذا فإن كل محاولة لفهم الوجود عامة والآنية بوجه خاص بغير الزمان محاولة مخفقة: فالزمان هو العنصر الأساسي في تكوين الآنية، وهو العامل الأصلي في انتقال الوجود الممكن إلى حالة الآنية، والزمانية حالة جوهرية للوجود المتحقق أي الآنية"[٢]فالزمان عند عبدالرحمن بدوي يفسر به كل ما في الوجود.

فيقول أيضًا:" وتبعًا لهذا فإن كل ما يتصف به الوجود لا بد أن يتصف بالزمانية، وليس معنى الزمانية مجرد الوجود في الزمان، وكأن الزمان إطار يجول فيه الوجود،... وصفة الزمانية إذن تطبع كل موجود وتشيع فيه، كروحه الحقيقية، فإن في وهي المقوم الجوهري لماهية الوجود، والعامل والفاعل في تحديد معناه"[٣].

٢- وضع "لوحة مقولات" للوجود لتفسير أحواله على غرار لوحة المقولات الكانطية، فالغرض من هذه المقولات هو الوقوف على أحوال الوجود المتوترة القائمة على ديالكتيك عاطفي وإرادي"[٤]، لأن الوجود نسيج من الأضداد، وكل ما فيه يتصف بطابع التناقض، والممكن يجمع بين النقيضين .

فالمقولات إذن لا بد أن تمتاز بالتقابل ثمَّ بالتوتر، لذا سنجد لوحتها تتكون من زوج وزوج، ولكل زوج وحدة متوترة فيها جمع معًا للمتقابلين مع الاحتفاظ بما لهما من استقطاب في أوج شدته، لذا تسمى الوحدة باسم مركب من المتقابلين معًا حتى نحتفظ

إدراكه، والزمان يقوم عند أينشتين على فكرة المعية وهي نظرية الزمان الفيزيائي، لأن كل قياس للزمان يقوم على أساس ملاحظة المعيات في نقطة من المكان/ .المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ص٤٦٥. أينشتين والنسبية ،لمصطفى محمود، طبعة سلسلة جدران المعارف، القاهرة ص٣٩.ص٩٥ويُنظر الزمان الوجودي، ١٣٤، ١٣٥.

(١) – الوجود الزماني الذي يتكلم عنه عبدالرحمن بدوي لا ينتمي إلى الوجود العام أو المطلق الذي يفنى فيه الفرد ويصبح كليًا غامضًا، إنما يقرن بالوجود العيني ذلك الوجود الحقيقي، وهو وجود الفردية، والفردية هي الذاتية، والذاتية تقتضي الحرية، والحرية معناها وجود الإمكانية، / دراسات في الفلسفة الوجودية، عبدالرحمن بدوي، ٢٨٥، ٢٨٦.

(٢) – الزمان الوجودي، عبدالرحمن بدوي، ص٤٥.

(٣) – دراسات في الفلسفة الوجودية، ص٢٨٩، ٢٩٠.

(٤) – أعلام الفكر العربي، ص١٠٢.

تمامًا بهذا التوتر، فعلى سبيل المثال يعرض د. بدوي مقالتين للإرادة والعاطفة. كما سيوضحه الباحث من الجدول التالي:

م	المركب	العاطفة	الإرادة
١	**أصل**	تألم– حب– قلق	خطر– طفرة– تعال
٢	**مقابل**	سرور– كراهية– طمأنينة	أمان – مواصلة– تهابط
٣	**وحدة متوترة**	تألم سار– حب كاره– قلق مطمئن	خطر آمن– طفرة متصلة– تعال متهابط

ويجب أن نلاحظ أن كلمة أصل ومقابل إيجابي وكلاهما محدد للآخر لا ينفصل عنه، وهذا ما يتبين بوضوح في الوحدة المتوترة، فلا نقول مع الأولين أن الألم وحده إيجابي، أما السرور فسلبي، كما لا نقول مع الآخرين. بل نؤكد إيجابية كليهما ونحتفظ بهذا التناقض في كل قوته وحدته لأنه طابع الوجود(١). والوحدة المتوترة حل جامع للقطبين، بكل ما فيهما من نفور وتناقض في وحدة خصبة.

٣– الوقوف على تاريخية الوجود أي كيفية الوجود. وذلك من خلال حقيقتين رئيسيتين:

أ– الأولى أن لا وجود إلا مع الزمان وبالزمان، وأن كل شيء ليس بمتزمن بالزمان فلا يُعد وجودًا؛ وتلك هي تاريخية الوجود.

ب–الثانية أن كل آن من آنات الزمان مكيف بطابع وجودي عاطفي إرادي خاص، وليس الزمان إذن مكونًا من وحدات كمية متشابهة في الكيف، بل بالعكس، هو مكون من وحدات منفصلة. ولكنها ليست كمية بل كيفية، فالزمان إذن كيفية(٢).

٤– تفسير العدم(٣) من منظور التطور الانفصالي للوجود، على حسب تعبير بدوي "الهوات القائمة بين الذرات".

---

(١) – الزمان الوجودي، ص١٥٦، ١٥٧.

(٢) – الزمان الوجودي،ص٢٦٥.

(٣) – العدم عند عبد الرحمن بدوي: يبدأ من القول بأن الوجود مكون من وحدات منفصلة بينها"هوات" لا يمكن عبورها إلا بواسطة الطفرة. فنقول:" الأن إن هذه "الهوات" هي العدم نفسه في وجوده الموضوعي، ولا يجب أن يُفهم من هذه الهوات أنها خلاء؛ فنحن لانعرف شيئًا أسمه خلاء بالمعنى العادي للمفهوم"، وبدوي لا يقصد بالعدم الخلاء، فهو لا يتصور العدم تصورًا مكانيًا على أنه الخلاء، أو حال من عدم التعين والقابلية لكل تعين تأتي إليها الصورة الواهية إياها تعينًا فتحل فيها.ص٢٣٤.

يؤكد د. بدوي على أن هيدجر أول من أوضح مدلول العدم من الناحية الوجودية، وخلاصة رأيه:" أن الوجود، لكي ينتقل من حالة الوجود الماهوي إلى الآنية، لا بد له من العلو، بالخروج من الإمكان إلى التحقق، وفي هذا سلب لإمكانيات كان في الوسع أن تتحقق، ولكنها انتزعت من الوجود بتحقق إمكانية غيرها، وهذا السلب هو العدم، وبغيره لن يتم التحقق، لأن التعين، يقتضي أخذ إمكانية دون أخرى، أي يقتضي سلب إمكانيات"(١).

إذاً ذهب بدوي الى البحث عن النزعة الإنسانية في الفكر العربي المعاصر الى الجذور لكي يبحث عن تطور النزعة الإنسانية ،وذلك من خلال النظر الى الإنسان على أنه مركز الوجود فقد وجد بدوي خير تعبير عن هذه الفكرة عند ابن عربي وغيره، ومن يعتقد بالإنسان الكامل وبضرورة الوصول اليه أو إدراكه إنما هو باعتقاد بدوي ذو نزعة انسانية خالصة. لا سيما ربط ابن عربي بين الإنسان والألوهية وأن الله خلق آدم على صورته، والقول بالعالم الصغير والعالم الكبير وأن كل ما وجد في العالم الكبير إنما له وجود في العالم الصغير، فمن عرف نفسه فقد عرف ربه، ومن عرف ربه فقد عرف نفسه. كما يستشهد بدوي بجابر بن حيان وحديثه عن الإنسان المطلق حيان بين نوعين من الخلق، الكون الأول وهو الذي أوجده الله والكون الثاني وهو ممكن لنا.

(١)- نفس المصدر، ص٢٣٠، ص٢٣١.